

## اكتشاف اميركا واحتلالها

بسطنا الكلام في الجزء الماضي على كولبوس مكتشف اميركا للاوربيين . ولا بد من ان يستغرب القراء ان تلك القارة العظيمة لم تسم باسم بل باسم رجل آخر اميركوس فسبوشيوس وهو رجل من اهالي فلورنسا كان كاتباً في بيت مديشي اشتهر بتجار تلك المدينة وارسله هذا البيت الى اسبانيا سنة ١٤٩٠ فاقام في قادم ثم انتقل الى اشبيلية وانظم في خدمة تاجر فلورنسي اسمه براردي وهو الذي هباً السفن لرحلة كولبوس الثانية سنة ١٤٩٣ . ثم اخذ في اعداد اثني عشرة سفينة للملك اسبانيا ولكنه توفي سنة ١٤٩٥ قبل ان يعدها فطلب من اميركوس ان يتم اعدادها

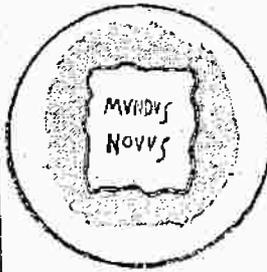
ولا دليل على ان اميركوس سافر مع كولبوس في سفرته الاولى ولا في سفرته الثانية ولكن لا بد من انه كان يعرفه ويعرفه ايضاً ان ملك اسبانيا استرجعه بعد سفرته الثانية ونزع منه الامتياز الذي اعطاه اياه اولاً . وكان كثيرون قد رغبوا في الرحلة الى العالم الجديد ويقول اميركوس انه رحل مع بعضهم اليه في اواسط سنة ١٤٩٧ فبلغوا بره في ٢٧ يوماً . فان كان صادقاً في وصفه فيكون قد بلغ مع رفاته خليج كمبيشي في الطرف الجنوبي من خليج المكسيك ثم داروا شمالاً وشرقاً حتى بلغوا رأس سابل في طرف فلوريدا الجنوبي من الولايات المتحدة الاميركية وساروا منه شمالاً الى رأس هناس شرقي ولاية كارولينا الشمالية . وعادوا الى اسبانيا فبلغوها في الخامس عشر من اكتوبر سنة ١٤٩٨

وسافر اميركوس مرة ثانية في ١٦ مايو سنة ١٤٩٩ فبلغ شاطئ برازيل عند رأس سنت روك وسار من هناك شمالاً حتى بلغ مصب نهر الامازون وعاد الى اسبانيا فبلغ مرفأ قادم في ٨ سبتمبر سنة ١٥٠٠ ودخل في خدمة عمانوئيل ملك البرتغال وسار الى برازيل في ١٠ ابريل سنة ١٥٠١ فبلغ ريو جنانرو في غرة يناير سنة ١٥٠٢ فسميت باسم ذلك الشهر وهي عاصمة بلاد برازيل الآن وعاد الى لسبون فبلغها في ٧ سبتمبر سنة ١٥٠٢ ثم سافر سفرة رابعة سنة ١٥٠٣ قام من لسبون في العاشر من يونيو بست سفن قاصداً ان يصل الى ملقا في اقصى الهند بالسير غرباً واقتربت سفينته عن سفن رفاته فبلغ رأس فريو شمالي ريو جنانرو حيث بنى حصناً . وعاد الى لسبون فبلغها في ١٨ يونيو سنة ١٥٠٤ وانتقل منها الى اسبانيا في السنة التالية ورجع الى خدمة الملك فرديناند واقام في اشبيلية ويقال انه سافر بعد ذلك مرتين الى اميركا فبلغ برنخ بناما وعين رباناً اكبر سنة ١٥٠٨ وتوفي سنة ١٥١٢

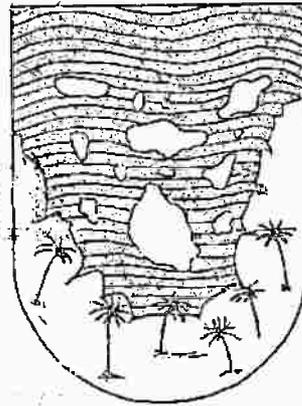
فان كان خبر اميركوس صحيحاً فيكون قد اكتشف بر اميركا قبل كولبوس وبقي كابتوت البندقي نزول انكائرا الذي سار اليها بامر من الملك هنري السابع سنة ١٤٩٧ فوصل الى الارض الجديدة في ٢٤ يونيو تلك السنة وسار امام شاطيء اميركا الشمالية الى حد ان يريها وذلك قبلما رأى كولبوس البر بنحو سنة من الزمان. والظاهر انه اقنع اهل زمانه بصحة خبره سواء كان صحيحاً او غير صحيح فكتب بعضهم مقدمة جغرافية سنة ١٥٠٧ قال فيها " لقد كشفت قارة خامسة من قارات الارض كسماها اميركوس ولذلك سميناها اميركا ". وقال في مكان آخر لقد " كتف اميركوس فبوشوس قارة رابعة فلا ارى ما يمنع تسميتها باسمه اميركا " فسميت باسمه ثم بحث همبلت الشهير عن دعوى اميركوس فرأى ادلة قوية على فسادها ولكن كان ذلك سنة ١٨٢٧ اي بعد ان اشتهر اسم اميركا باكثر من ثلثثة سنة



( الشكل الثالث )



( الشكل الثاني )



( الشكل الاول )

وحالما اشتهر اكتشاف كولبوس وغيره من الذين اقتفوا خطواته جعل الناس يظنون الظنون في شكل العالم الجديد واخذ صانعو الخرائط يجهمون اخبار الذين رأوه لكي يصلحوا خريطة العالم. والظاهر ان اول خريطة رسمت له كانت في شعار كولبوس فتمه على ترسيمه كما ترى في الشكل الاول المرسوم هنا ويقال ان كولبوس نفسه رسم هذا الرسم على ترسيمه ممثلاً به مرفأ من مرفأ اميركا التي دخلها والجزائر امامه. وضاع هذا الرسم فلم يبق منه احد له الى ان اظهره العلامة همبلت في القرن الماضي وتلو هذا الرسم في القدم والبعد عن الحقيقة رسم صنع سنة ١٥٠٠ جعلت فيه قارة اميركا مربعة كما ترى في الشكل الثاني وكتب فيها ما معناه " العالم الجديد " فكان ذلك قيل ان

أطلق عليه اسم اميركا . فابل هذا الشكل بالشكل الثالث الذي يليه وهو خريطة اميركا الشمالية والجنوبية حسبها تعرف اليوم تجد بينهما بوناً شامساً لا لان البلاد تغير شكلها فانها لم تتغير منذ الوف كثيرة من السنين بل لان معرفة الناس بها زادت رويداً رويداً حتى بلغت حد الكمال وقد تدرجت اليه تدرجاً شأن كل معارف البشر  
ومن الخرائط القديمة التي رسمت لاميركا بعد ان أطلق عليها هذا الاسم خريطة شونر Schöner المرسومة في الشكل الرابع رسمها سنة ١٥٢٠ ويظهر منها ان اميركا الشمالية لم تكن معروفة حينئذ لان المرسوم هنا هو اميركا الجنوبية وجزيرة كوبا وجزيرة ازابلأ واسبايولا



( الشكل الرابع )

ونوالى عمل الخرائط الى ان قام . وكانور الشهير ورسم خريطة اميركا الشمالية والجنوبية رسماً يقرب من الحقيقة كما ترى في الشكل الخامس وتلى خريطته تاريخ سنة ١٥٣٠ ولكن يقال انه رسمها سنة ١٥٤١ . وكان الاسبانيون قد دخلوا بلاد المكسيك وبلاد بيرو ورسمت قدهم في اميركا المتوسطة والجنوبية فخلعوا ميداناً للشعب اللاتيني الكاثوليكي واما اميركا الشمالية حيث الولايات المتحدة الآن فصرفت العناية كوليوس عنها بكلمة قالها احد رجاله في سفرته الاولى ولولا ذلك لاكتشفها اولاً وكانت الآن موطناً للشعب اللاتينية الكاثوليكية لا للشعب الانكليزية البروتستانتية وكان عمراتها دون ما هو عليه بهرحل كثيرة فلما ان كوليوس والذين حذوا حذوه وجدوا اميركا أهلة بالسكان راسخة قدها في العمران ولا بد من ان يسأل التاريخ من اين اتاحا اولئك السكان وهل هم من السلالة البشرية الساكنة اسيا واوربا ومثي كان وصولهم اليها وبأي طريق وصولها . لم يحل احد هذه المسائل



عمداً او وقعت فيه عرضاً . ويحتمل ان يكون الانسان وُجد في اميركا منذ خمسة آلاف عام كما يحتمل ان يكون قد وجد فيها منذ خمسين الف عام  
ثم ان الاقوام الاميركية التي وجدها الاسبانيون في اميركا تدعي ان عمرانها لم يكن قديماً جداً بل ان اقواماً اتوها بـ من بلاد اخرى في اوقات مختلفة ومنذ ازمة غير بعيدة . وسيغ  
عادات بعضها ما يماثل عادات بعض الامم الشرقية في اعالي نهر الامازون قبائل تطلق السهام  
من المواسير وتبني بيوتاً كبيرة تسكن فيها عيال كثيرة معاً وتصنع صلاباً واسفاطاً من القنا  
وتدخن رؤوس اعدائها وتعلقها في بيوتها وبماثلها في ذلك كله اهالي بورنيو في شرقي اسيا .  
وهناك قبائل يحذفون العصي بدل السهام كما يفعل اهالي استراليا وعندهم حربة يصطادون  
بها السلاحف وسنان الحربة سهل الانفصال عن قناتها فاذا نشب في بدن السلحفاة انفصلت  
القناة عنه من نفسها وظفت على وجه الماء تابعة سير السلحفاة لانها تكون متصلة بالسنان بجبل  
او نخوة فتدل على مكانها وهو نفس الشيء الذي يفعله اهالي استراليا الآن . ويستدل من  
ذلك ومن ادلة اخرى مختلفة ان الناس جاؤوا اميركا في العصور الغابرة من اسيا واوربا  
وافريقية واستراليا اي ان العواصف كانت تسوق السفن اليها فينزل ركابها ويقيمون فيها ويتوالدون  
اذا لم يكونوا قد ذهبوا اليها عمداً

وفي اواسط الولايات المتحدة الاميركية على ضفاف نهر المسيسي ونواصره آثار اقوام كان  
عمرانهم ارقى كثيراً من عمران الهنود الذين رامم الاوربيون فيها لما دخلوها بعد ما اكتشفها  
كولوموس . واكثر هذه الآثار اسمة ومساطب كجسور النيل والحوش في القطر المصري  
او كالطواهي التي تقام وقت الحرب وهي مثل الجسور التي كان انباليون والاشوريون يقيمونها  
في بلادهم دفناً لطفيان الماء . وهذه الاسمة مستطيلة كالجسور في الجهات الشمالية ثم تقصر  
في الجهات الجنوبية وتصير كالاهرام المقطوعة او المساطب المصرية . وكلها مبنية من الحجارة  
والتراب ولا بد من انه عمل فيها اناس كثيرون وانهم كانوا في سعة من العيش او بسطة من  
الملك حتى يسر لهم انشاؤها . والظاهر ان الاسمة الصغيرة كانت لحدود الموتاهم والكبيرة التي  
تحيط بمرابع من الارض كانت معابد لآلهتهم بعضها صغير لا يزيد على اقدام قليلة سعة  
وارتفاعاً وبعضها كبير يبلغ محيطه الف قدم او الف قدم وارتفاعه ثمانين او تسعين قدماً . ومن  
هذه الجسور ما يحيط بارض مساحتها اربع مئة ميل الى ستمئة ميل وهي اما دوائر او مربعات  
او معينات او مجموعة من الدوائر والمربعات او تابعة لامتداد التلال التي بينها او مماثلة لاشكال  
الناس والحوش والطيور والحشرات . واكثرها على التلال او على ضفاف الانهر كأنها أنشئت

طوابي للحصار والدفاع حسب القواعد الحربية . ويزيد القامها بالتقدم جنوباً في اميركا الشمالية حتى تصل الى بلاد المكسيك وهناك آثار عمران بالغ - مبان فخمة من الحجر النخيت مزودة بالنقوش البديمة من جسور وقنايل وكتابات رمزية وانحمنها كلها الهياكل والقصور المبنية على شكل مدرج كاطرم طول بعضها نحو ستمئة قدم وعرضه مئتان وخمسون قدماً . وقد رأى بعض اهل البحث آثار اربع واربعين مدينة كبيرة في بلاد واحدة وكلها تدل على انها كانت خاصة بالبابائي الفخيمة وان سكانها من شعب واحد . وكانت مملكة المكسيك من اوسع الممالك الامبريكية عمراناً لما وقعت عين الاسبانيين عليها ولذلك اخترنا وصفها ووصف تقاب الاسبانيين عليها ولا يتم هذا الوصف الا في عدة فصول لكن في الموضوع من الفكاهة والفائدة ما يشفع لدى القراء بطوله .

بلاد المكسيك المقصودة في هذه الفصول جزء صغير من جمهورية المكسيك المعروفة الآن لم تكن مساحتها اكثر من ١٦ الف ميل مربع وهي كثيرة السهول والجبال والابودية تنبت فيها كل انواع الحبوب والاثار وتخللها حراج غياض وتليها قفار محرقة وآجام فاسدة الهواء وفيها خمس بحيرات على اكبرها مدينة مكسيكو ومدينة تسكوكو قصبنا الشعبين العظيمين الذين تدل آثارها وآثار الشعوب التي كانت قبلها على درجة عالية من الحضارة . ومن اشهر تلك الشعوب شعب التلتك جاء البلاد من الجهات الشمالية في اواخر القرن السابع وكان ماهراً في الفلاحة والصناعة يستخرج المعادن ويصنع ادواته منها وكانت قصبته في تولا شمالي وادي المكسيك بقيت منها مبان كثيرة الى عهد الفتح الاسباني . وبقي هذا الشعب اربع مئة سنة ثم انتابته سنة القحط والوباء فانقرض من البلاد بجزء وبقيت بعض الحققين حديثاً الى انه كان اقدم من ذلك كثيراً وانقرض من البلاد قبل عهد قدم جداً . ثم تلت شعوب اخرى واخرهم شعب الازتك والتسكوكان وبما هذا الشعب الاخير وارثي وامنتت سطوته في البلاد ثم غزاه شعب التبانك واشحن فيه وقتل ملكه وخرب عاصمته تسكوكو وقام من التسكوكان بعد ذلك امير يهيئ ساعده الازتك ايهالي المكسيك حتى استرد ملك ابايو وما يبلاده في جراقي النجاح

وشعب الازتك ايهالي المكسيك جاؤوا بلاد المكسيك من الشمال ايضاً في لوائيل القرن الثالث عشر وظلوا قبائل رحلاً الى ان القوا عصا الزرحال حول بحيرة المكسيك الكبيرة نحو سنة ١٣٢٥ للميلاد فرأوا نسرأ واقفاً على غصن من الصبروفي مخالفيه افنى وقد بسط جناحيه الى الشمس ففناؤوا بذلك خيراً وضربوا اوتاداً في الارض اقاموا عليها خصاصاً سكنوها ولا

يزال النسر والافعى شعار حكومة المكسيك الى الآن

وقوي هذا الشعب رويداً رويداً واشتهر بهارتو في ابواب القتال وشدة بطشه. وحدث بعد مئة سنة ان تغلب شعب التبانك على شعب التسكوكان كما تقدم وزاد عنو الغالب على المغلوب فاستعان امير التسكوكان بالازتك اهالي المكسيك فاعانوه على التبانك فقهرهم وقتل ملكهم واخذ بلادهم واعطاهم للازتك اهالي المكسيك . فصار في البلاد شعبان قويان الازتك شعب المكسيك والتسكوكان شعب التسكوكو وكان فيها ايضاً شعب ثالث صغير وهو شعب التلكويان فتجالت هذه الشعوب الثلاثة على المهجرم والدفاع وعلى فسحة الفنائم فيكون خمسها للتلكويان واربعه اخماسها للازتك والتسكوكان. ردامت هذه الخالفة مئة عام لم يختلف فيها المتحالفون ولا تقاعدوا عن الغزو فبسطوا ظلمهم على البلاد كلها ودانت لهم الشعوب المجاورة فاقسموا بلادها بينهم

وعمرت عاصمة المكسيك في هذه الآونة وشيدت فيها المباني الفخيمة من القصور والهياكل وتعاقب عليها ملوك حكاة يرثوا بالرعية واوردوها موارد الارثقاء وعرفوا كيف يستفيدون من بسالة رجالهم فكانوا يخرجون بهم غازين سنة بعد اخرى ويعودون بالاسلاب والفنائم والاسارى حتى امتدت بلادهم في اوائل القرن السادس عشر من الاوقيانوس الاثنتيني شرقاً الى الباسيفيكي غرباً . وهذا من الغرابة بمكان عظيم لان البلاد التي تغلب عليها شعب الازتك كانت كثيرة السكان وهم اهل حرب وجلاد مثلهم ولا يقلون عنهم في بسطة الملك وانتظام الجيش فكان شعب الازتك كاشعب الروماني من وجوه كثيرة

وكانت حكمة الازتك ملكية النخاية فيخار الاشراف اربعة منهم في عهد كل ملك يقون لانتخاب خلفه حينما يتوفى ويضاف اليهم حليفاهم ملك التسكوكان وملك التلكويان اكراماً لها فاذا توفي الملك انتخب هو لاه النخبون خليفة له من اخوتو واذا لم يكن له اخوة احياء فمن ابناه اخوتو . ويرث المرشعون للملك ويهذبون ويمرنون في اساليب القتال وقواعد السياسة حتى اذا ادليت اليهم مقاليد الملك قاموا باعبائه ولذلك تعاقب على سرير المكسيك ملوك اكفالة مدة طويلة

وكانوا يختلفون بتصيب الملك الجديد احفالا عظيماً ولكنهم لا يتوجونه الا بعد ان يفزرو ويعود بالاسرى والفنائم فيذبح الاسرى على مذابح هياكلهم كما مسيحي ويتوج الملك حينئذ بابهة الملك . وتاجهم كتاج الاساقفة الرومانيين مرصع بالذهب والحجارة الكريمة يضعه الملك على رأسه ويلقب بما مضاه ملك الملوك

وكان هؤلاء الملوك يقيمون في قصور ضخمة فيها الغرف الكبيرة والمقاصير الزخبة حيث يجتمع رجال الدولة وارباب المشورة يعاونون الملك في قضاء مهام المملكة . ويقوم في هذه القصور ايضاً الحرم الملكي وهو من اولاد الامراء وكان امراء المملكة على ثروة طائلة وأكثرهم يتنقلون معهم الى الازتك الاولين الذين عمروا بلاد المكسيك ويقال انه كان في البلاد ثلاثون اميراً يقيمون في العاصمة بعض ايام السنة ويحكم كل منهم على نحو مئة الف نفس

والملك وحده السلطة على سن الشرائع والقوانين ولكن الحكم بها ليس له بل للقضاة فانه كان في كل مدينة من امهات مدنهم قاضٍ يشبه الملك للقضاء في الدعاوى المدنية والجنائية لا يستأنف حكمة الى مجلس آخر ولا الى الملك نفسه ويبقى في منصبه مدى عمره لا يزل ولا يبدل ومن اعندى عليه فعقابه الموت . وفي الولايات التابعة لتلك المدينة مجالس قضائية في كل مجلس منها ثلاثة اعضاء يحكم في الدعاوى واحكامها المدنية نهائية لا تقبل الاستئناف واما الجنائية فتستأنف الى قاضي المدينة . وعندم عدا هؤلاء قضاة صلح منتشرون في البلاد يختارهم الشعب ليحكموا في الدعاوى الجزئية . ورجالهم يختارهم الشعب ايضاً ليراقبوا العيال ويروا ما اذا كانت جارية حسب قوانين البلاد

وكان نظام القضاء في بلاد السكوكواتم منه في بلاد المكسيك لانه يقضي باجتماع القضاة كلهم مرة كل ثمانين يوماً برئاسة الملك فيجتمعون ويحكمون في الدعاوى الكبيرة او الصرة الحل التي تعذر على القضاة الحكم فيها منفردين ويساعدون الملك ايضاً على قضاء مهام المملكة كأنهم مجلس شورى

فاستقلال القضاة حفظ حقوق الرعية من استبداد ملوكهم . ويظهر من تاريخ الازتك ان ملوكهم كانوا يحترمون القضاء والقضاة ولا يعتدون عليهم بوجه من الوجوه وكان القضاء تحت سيطرة شديدة فاذا ثبت على احد منهم انه ارتشي او اتفق مع احد الخصمين فعقابه القتل ويحكم في مجلس عام يحضره القضاة كلهم

وتدفع رواتب القضاة من الاموال الامبرية ويلبسون لباساً خاصاً ويقومون في دار القضاء النهار كله بأنهم عداؤهم اليها الظاهر في كلونه في غرفة خاصة . وفي كل محكمة رجال لمرابطة الخصوم والمحج بهم وصرفهم او القبض عليهم . والخصوم يترافعون من غير محام فيقص كل منهم قصته ويذكر ادلته ويقدم شهوده وتقبل البين كالشهادة . ويكتب الكاتب ذلك كله ويقدمه الى القاضي فيمن نظره فيه ويقضي بما يبدو له

وقد نقل برسكوت وصف المحكمة العليا في بلاد التسكوكو عن احد المؤرخين الوطنيين قال : كان في قصر ملوك للتسكوكو ساحة كبيرة يتحاطها غرفتان كبيرتان يقال للواحدة منهما محكمة الله فيها عرش من الذهب مرصع بالذبل والحجارة الكريمة امامه كرسي عليه حجمة وعلى الحجمة زمردة كبيرة هرمية الشكل وريشة فيها حجارة كريمة وتحت الحجمة حراب وتروس وقسي وجعب وسهام وعلى جدران الغرفة اسجاف منسوجة من الصوف وخيوط الذهب فيها صور ازهار واطيار بديعة المنظر وفوق العرش قبة مزدانة بالريش المنسوج في وسطها شطاع من الذهب والجواهر. ويقال للغرفة الثانية محكمة الملك فيها عرش وقبة وعلى القبة شعار الملك وهو يجلس هناك حينما يقضي في امور المملكة العادية واما اذا قضي في امر هام او اراد تأييد حكم من الاحكام الكبيرة كالحكم بالقتل فانه ينتقل الى محكمة الله تخفوقا بامرأه مملكته الاربعة عشر يمسون وراءه حسب مراتبهم ويجلس على عرشها ويلبس تاجه المرصع على رأسه ويمسك حربته يسراه ويضع يمينه على الحجمة وينطق بالحكم

وكانت شرائع الازتك مكتوبة كلها بكتابتهم الصورية وعقاب اكثر الذنوب الكبيرة عندهم القتل فيقتلون القاتل والزاني ويقتلون السارق احبانا ويماقبون عقابا صارما من غير تخم ارضه ومن يقام وصيا فلا يقدم حسابا مدفقا عن مال من اقيم عليه وكذلك ممن ورث مالا فبده. واذا سكر الحداث فعقابه القتل واذا سكر البالغ فعقابه ان تنزع منه رتبة والقابله واملاكه. وكانوا يجنون شرابا خفيفا وقت الولاثم الدينية لا يزال مستعملا الى الان

والزواج والطلاق عندهم قانون ومجالس خاصة للحكم في مسائله

وكانوا يجنون الاستعباد والصيد عندهم درجات اسرى الحرب وهؤلاء يذبحون ضحايا دينية. والمجرمون الذين يحكم عليهم بالاستعباد والذين يعجزون عن ايفاء الدين والذين يبيعون انفسهم لفقرهم والاولاد الذين يبيعهم آباؤهم. ومقام العبد مثل مقام الاجير وتعد شروط بيعه امام اربعة شهود ويعين ثمنه والاعمال التي يطلب منه عملها وبياع له ان يتزوج ويسكن في بيته ويقتني عبيدا ولا يطالب الأ بالعمل الذي ارتبط بهم وقما اشتراه سيده واولاده احرار لارق عليهم ولا يولد احد عبدا في بلاد المكسيك. ولا يبيع السيد عبيده الا عند الفاقة الشديدة والغالب ان يمتق الرجل عبيده اذا حضرته الوفاة واذا خالف العبد ما يطلب منه او كان فاسد السيرة وضع سيده طوقا في عنقه وقاده الى السرق فيباع ويحفظ للفضيحة ويقال بنوع عام ان قوانين الازتك والتسكوكان كانت صارمة جدا ولكنها تراعى نواميس الآداب احسن مراعاة

والاموال الاميرية عندهم هي دخل الاملاك الاميرية وجزية المدن والاعمال من القتل  
والمنوعات كالانمار والصبوغ والكهرباء والقرمز والككاكو والحيوانات والطيور والخشب والجير  
والحصر والورق والنياب والاسلحة والحلي وسبائك الذهب . ويلبس جباة الاموال بالجملة  
خاصة ومن تأخر عن اداء ما عليه من الاموال الاميرية جاز يعة عبداً . ويؤتى بالاموال  
كلها الى العاصمة وتسلم لامين بيت المال وهو بمثابة ناظر المالية وعنده مخازن كثيرة تخزن  
ما يجمع عينا من غلات الارض وعنده خريطة مسهبة للبلاد كلها . واشتد ظلم جباة الاموال  
في آخر ملك الازتك حتى عاقبتهم نفوس الامة وكادت تخرج عن طاعة ملوكها قبل مجيء  
الاسبانيين اليها فكان ذلك اكبر مسمهل للفتح الاسباني .

وكان بريد السلطنة منتظماً في كل أنحاء البلاد فيسّر الساعة بسرعة فائقة <sup>الواحد</sup>  
منهم ١٢ ميلاً في الساعة وتنقل الاخبار مئتي ميل في اليوم الواحد . ويسير السعاة كل  
مسافة قصيرة في مراكز البريد . وكان السمك يصاد في خليج المكسيك ويؤتى به الى مائدة  
الملك مسافة مئتي ميل في اربع وعشرين ساعة

وكان المقام الاول عندهم للحرب والجلاد . فعبودهم الذي اليه ينتسبون اليه الخبز ولا  
ينصبون ملكاً عليهم الا من كان قائداً مجرباً . ومن قتل منهم في ساحة الوصي ينتقل الى  
السعادة الابدية حالاً في منازل الشمس . وغايتهم من الحرب اخذ الاسرى لتقديم الضحايا  
لمعبوداتهم فحروبهم كلها جهاد ديني واذا ارادوا الخروج للحرب عقد الملك مجلساً حربياً اجتمع  
فيه مشيروه وروساه جنده ويرسل قبل ذلك سفراء الى البلاد التي يقصد محاربتها يطلب منها  
ان تدين بدين بلاده وتؤدي اليه الجزية . ويكرم السفراء في كل بلد يدخلونه ويقلون على  
الرحب والسعة وينفق عليهم من بيت المال . فاذا لم تجب البلاد السفراء الى ما يطلبون صرفتهم  
فارغبين فيعلن الملك الحرب عليها ويجمع جنوده وجنود البلاد الخاضعة له ويسير بهم بنفسه  
وكان عندهم تب عسكرية ينعمون بها على من يمتاز بشجاعته واقدامه ومن ذلك رتبة  
لا بد منها لكل ضابط حتى ينحق له ان يلبس الحلي ويزين اسلحته بها واللباس يلبسه ملائحاً  
من نسج الياق الصبر ولا يستني من ذلك احد حتى اولاد الملوك . وكان الارتقاء في المراتب  
العسكرية مباحاً للجميع على حد سواء اذا قاموا بشروطه .

ولباس الضباط عندهم نسج صفيق جداً من القطن لا تحرقه سهامهم والقواد والروساه  
يلبسون دروعاً من صفائح الذهب والفضة يرتدون فوقها برداء من ريش الطيور الفاخر ويضعون  
على رؤوسهم خوذاً من الخشب او المعدن وبعضها من الفضة وعلى رؤسها ريش يتخرج في الهواء

فيه الحجارة الكريمة . وكانوا يلبسون عقوداً في رقابهم واساور في معاصمهم واقراطاً في آذانهم  
وتقسم جنودهم الى فيالق في كل فيلق منها ثمانية آلاف ويقسم الفيلق الى فرق في كل  
فرقة اربع مئة  
وللمملكة علم كعلم الرومانيين مطرز بالذهب وعليه شعار المملكة ولكل فرقة من الجند علم  
آخر خاص بها عليه رسوم بديعة مصنوعة من ريش الطيور المزودة  
ومن ابواب حروبهم الكر والذر والهجوم بالمصاف واقامة الكمين . ولا يهتمون بقتل  
اعدائهم كما يهتمون باسراهم . ويعرف قدر الشجاع عندهم بعدد اسراهم ولا يفتدى الاسير  
مهما كانت فديته . وقوانينهم العسكرية صارمة جداً واقل مخالفة عقابها الموت فيقتلون من  
خالف امر رئيسه ومن ترك رايته ومن هجم على العدو قليلاً يؤمر بالهجوم ومن اخلس اسلاب  
غيره . ويقال ان اثنين من اولاد امير من امراء التسكوكان اخذا اسلاب واحد من رفاقهما  
ثم وقعا جريحين فعالجهما ابوهما الى ان شفيا ثم قتلهما لانهما خالفا شريعة البلاد  
وكان عندهم مستشفيات للمرضى وملاجئ للمنتطفين في كل مدنهم الكبيرة ويقال انها  
كانت احسن مما كان من نوعها في اوربا  
هذه بعض مقومات العمران الذي وجدته الاسبانيون في تلك البلاد فحقوه ولم يعطوا  
الاهالي شيئاً خيراً منه كما سيحيي

## مجمع ترقية العلوم البريطاني

تصدت مدينة غلاسكو لمشاهدة معرضها ولحضور مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي عقد  
فيها هذا العام . وقد رأيت ان اوافي قراء المنتطف بشيء مما وقعت عليه من تاريخ هذا المجمع  
وما رأيت فيه في اجتماعه الاخير موجزاً الكلام على قدر الامكان فانقول  
ان العلم يعدي كما ان الجهل يعدي فلم يكف الاثانيون يوافون مجمعاً علمياً لترقية العلوم والفنون  
في بلادهم حتى اخذ علماء الانكليز يهتمون بالجري على خطتهم . وكان في ولاية يوركشير من  
بلاد الانكليزية جمعية علمية فلسفية يرئسها القس فرنون هر كورت ابو السروليم هر كورت الذي  
كان ناظرًا للمالية في وزارة غلادستون الاخيرة ووزارة روزبري . وكان القس هر كورت هذا من  
رجال العلم المدودين عنده معمل كيمائي للباحث العلمية يساعده فيه دائي وولستون المشهوران  
في العلوم الطبيعية والكياوية فجاءه مرة كتاب من السردارد برومتر العالم الطبيعي يقول فيه